

روح المعاني

جنس مثل وأيا ما كان فالمراد من المثل إما معناه المشهور أو الصفة الغريبة التي هي في الحسن واستجلاب النفس كالمثل والمراد أنه تعالى نوع ضرب الأمثال وذكر الصفات الغريبة وذكر من كل جنس يحتاج إليه داع إلى الإيمان نافع لهم مثلا لا أنه سبحانه ذكر جميع الأمثال وكأن في الآية حذفا أو هي على معنى ولقد فعلنا ذلك ليقبلوا فلم يفعلوا .

وكان الإنسان بحسب جبلته أكثر شيء جدلاً أي أكثر الأشياء التي يتطرق إليها الجدل وهو كما قال الراغب وغيره المنازعة بمفاوضة القول والأليل بالمقام أن يراد به هنا الخصومة بالباطل والمماراة وهو الأكثر في الاستعمال وذكر غير واحد أنه مأخوذ من الجدل وهو الفتل والمحادلة والملاؤة لأن كلاً من المتجادلين يلتوي على صاحبه وانتقامه على التمييز والمعنى أن جدل الإنسان أكثر من جدل كل مجادل وعلل بسعة مضطربة فإنه بين أوج الملكية وحضيض البهيمية فليس له في جانبي التصاعد والتسلق مقام معلوم .

والظاهر أنه ليس المراد إنساناً معيناً وقيل المراد به النضر بن الحرث وقيل ابن الزبعري وقال ابن السائب أبي بن خلف وكان جداله في البعث حين أتى بعظام قد رم فقال أينقدر الله تعالى على إعادة هذا وفته بيده ؟ والأول أولى ويؤيده ما أخرجه الشيخان وابن المنذر وابن أبي حاتم عن علي كرم الله تعالى وجهه أن النبي صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة ليلاً فقال ألا تصليان فقلت يا رسول الله إنما أنفسنا بيده تعالى إن شاء أن يبعثنا بعثنا فانصرف حين قلت ذلك ولم يرجع إلى شيئاً ثم سمعته يضرب فخذله ويقول وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً فإنه ظاهر في حمل الإنسان عبئ العموم ولا شبهة في صحة الحديث إلا أن فيه إشكالاً يعرف بالتأمل ولا يدفعه ما ذكره النووي حيث قال المختار في معناه أنه لا تتعجب من سرعة جوابه وعدم موافقته له على الإعتذار بهذا ولهذا ضرب فخذله وقيل قال الله تعالى لعذرهما وأن لا عتب فتأمل وما من الناس قال ابن عطية وغيره المراد بهم كفار قريش الذين حكيت أبا طيلهم وما نافية .

وزعم بعضهم وهو من الغرابة بمكان أنها استفهامية أي أي شيء منعهم أن يؤمنوا أي من إيمانهم بما تعالى وترك ما هم فيه من الإشراك إذ جاءهم الهدى أي القرآن العظيم الهدى إلى الإيمان بما فيه من فنون المعاني الموجبة له أو الرسول عليه و إطلاق الهدى على كل للمبالغة ويستغفروا ربهم بالتوبه عما فرط منهم من أنواع الذنوب التي من جملتها مجادلتهم الحق بالباطل وفائدة ذكر هذا بعد الإيمان التعميم على ما قيل . واستدل به من زعم أن الإيمان إذا لم ينضم إليه الإستغفار لا يجب ما قبله وهو خلاف ما اقتضته الظواهر .

وقال بعضهم لا شك أن الإيمان مع الاستغفار أكمل من الإيمان وحده فذكر معه لتنفيذ الآية ما منعهم من الاتصال بأكمل ما يراد منهم ولا يخفى أنه ليس بشيء وقيل ذكر الاستغفار بعد الإيمان لتأكيد أن المراد منه الإيمان الذي لا يشوبه نفاق فكانه قيل ما منعهم أن يؤمنوا بما نا حقيقيا إلا أن تأييدهم سنة الأولين وهم من أهلك من الأمم السابقة وإضافة السنة إليهم قيل لكونها جارية عليهم وهي في الحقيقة سنة ﷺ تعالى فيهم والمراد بها الإهلاك بعذاب الاستئصال وإذا فسرت السنة بالهلاك لم تحتاج لما ذكر وأن وما بعدها تأويل المصدر وهو فاعل منع والكلام بتقدير مضارف أي